فعلى شواطئ امريكا اقليم واسع هو أقليم كليفورنيا . هل يعلم القارئ ما هي كليفورنيا التي لا شك الآن في انها حقيقة من حقائق العيان ؟ هي في الخرافات الاسبانية كجزائر الواق في الخرافات العربية ، هي مدينة من مدن الاوهام تخيلها الكاتب الاسباني « منتالڤو » في اواخر القرن الخامس عشر وافرغ عليها مسحة من السحر وذهباً من كنوز الخيال التي لا تنفد وجعلها على مقربة من بلاد الهند التي كانت في ذلك العهد كعالم الغيب في اوهام الرواة ، فلما شخصت السفن الى الغرب لترتاد السبيل الى بلاد الذهب والجوهر كانت قصة الملكة كلافيا صاحبة تلك المدينة في وطاب كل ملاح يشق غمار العباب من أجل ذلك السراب ! وكانت « كليفورنيا » هي الاسم الذي اختاره الرواد لارض الكنوز والاعلاق حين تمثل الحلم في وضح النهار ، ولولا تلكم الاحلام وما أشبهها لبقيت امريكا في ضمير الغيب ولما أصبحت جزيرة الواق مكاناً معهوداً على خريطة هذا العالم المعمور ! ولئن بات العالم خلواً من شواسع الاقطار التي تهدينا اليها الاقاصيص فانّ في اطواء كل نفس لاقطاراً شاسعات لا يزال يهدينا اليها الحلم ولا تزال تشقّ اليها الغمار ولا تزال هي الثروة التي من اجلها تنفق الثروة وهي النضار الذي من اجله تطلب النضار

والناس يخطئون فهم « الامريكيات » التي يسمونها بالواقعيات وينكرون من أجلها الشعريات والخيالات . فما كان أبناء امريكا وسكانها متهافتين على الذهب لانهُ الذهب ولا كاسبين المال لانهُ المال . انما يتهافتون على الذهب لانهُ الوسيلة الى ما يتعطشون اليه من إحساس الحياة والعدّاد الذي يعدّون به قدرتهم على ان يعملوا عملهم ويشعروا شعورهم ويأخذوا من الآمال بنصيبهم ، فاذا بلغ بهم الذهب أقصى حدوده تجاوزوه في طلب الاحساس الى المخاطرات والمجازفات وركبوا البحر والهواء الى الموت او الى لحظة من الزمن يتجمع فيها من شعور الحياة ما هو وسق أعمار وأجيال

الاحساس هو عملة الحياة لا عملة غيرها ولا يمكن ان يكون غيرها عملة صحيحة ، فكل شيء في هذه الدنيا لا يتحول في نهاية امره الى احساس هو زيف وهباء وهو خديعة وهراء وهو عدم او كالعدم في عالم الاحياء

***

يقول العالم الكبير الاستاذ ارثر كيث في مقاله الذي ترجمهُ له مقتطف ديسمبر الماضي بعنوان اؤمن بالعلم : « اطلعت الآن في صحف الصباح على ان سكان بلادي اسكوتلندا كانوا حينما ولدت منذ اثنتين وستين سنة ٣،٢٢٥،٠٠٠ نسمة يحرثون ويزرعون ١،٤٧٠،٠٠٠ فدان اي ما متوسطهُ نصف فدان للنسمة الواحدة منهم . وقد زاد السكان الآن حتى بلغ

عددهم نحو خمسة ملايين نسمة ونقص مايحرثونهُ من الارض ويزرعونهُ الى ١٧،١٤٧،٠٠٠ فدان اي ان المتوسط نقص الى نحو ربع فدان للنسمة الواحدة ، ومع ذلك نرى سكان اسكوتلندا الآن أوفر راحة ورخاء من سكانها في أواسط القرن الماضي ، فطعامهم أنظف وأكثر غذاءً وبيوتهم أكثر راحة ودفأ وملابسهم ألبق وأغلى ونظام تعليمهم أرقى وأشمل ونفقاتهم العامة تضاعفت . وما يقال عن اسكوتلندا يقال عن انكلترا وويلس بوجه عام . فكأننا حققنا المستحيل فكيف فعلنا ذلك ؟ لقد حققنا هذا التقدم بثمار عقولنا التي استعملناها أدوات للعلم . والحق يقال اننا سكان الجزائر البريطانية قد عدنا لا نعتمد على حاصلات ارضنا بل على خصب عقولنا ومنتجاتها . فمساحة بلادنا يجب ألا تقاس بالفدان وألا يبنى على قياسها كذلك ما يمكن ان تسعهُ من السكان . وعلينا ألا نخوف من ازدحام السكان في بلادنا . . قبل ان تبلغ قوانا العقلية حدَّها من التقدم والاكتشاف والاختراع وتصاب عقولنا بالعقم . . . »

لهذا يؤمن العالم الكبير بالعلم ويؤمن برسالة العلماء . فالآن ما محصل كل هذا ان لم يكن محصله ان الناس يحسون في هذا العصر أحسن مما قد أحسوا قبل ستين سنة ويتشوقون أحسن مما تشوقوا ويستريحون أحسن مما استراحوا ؟ فالذين يطلبون الحياة بغير أدب يطلبونها بغير احساس لانها لن تحس الا عبرت ولن تعبر تعبيراً جميلا الا كان لها أدب في صورة من صور الآداب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

ومن المقارنات الخاطئة ان يوضع العلم في المكان المقابل للادب كأنَّ العلم يمنع الادب او كان الادب يمنع العلم او كان الامم لا يمكن ان تتفق لها علوم وآداب في وقت واحد . فكل أمة تحسن التشوق والاستطلاع تحسن العلم وتحسن الادب ، وكل علم لا يكون باعثهُ الشعور الصادق بالحياة ولا تكون غايتهُ من هذا القبيل هو علم كالجهل او لعل الجهل خير منهُ لان الجهل كان في الدنيا وكان فيها العظماء والسعداء والغالبون والفاتحون ، بل كانت الشمس تدور حول الارض في نظر ألوف من سكان هذه الكرة السابحة في الفضاء كانوا أعظم وأقدر من أناس يعلمون اليوم انها كرة سابحة في الفضاء ! وقد سبحت الارض سبحها ولم تقف لحة عين لان سكانها سلخوا الدهور يجهلونها ويظنون بها الوقوف

***

قال لي صديق من المؤلفين المعروفين وقد رأى في يدي ديواناً من الشعر : « مارأيك اني لأحسب ان الشعر شيء قد مضى أوانهُ وانهُ لهوٌ قد يستهوي صغار الشبان ولكنهُ